

منظومة الإبداع الأدبي في ضوء التحول الرقمي: قراءة في تحولات البنية والأدوار
**The system of literary creativity in the light of digital transformation:
 an approach to the transformations of structures and role**

يحي عماد¹، بن دحمان عبد الرزاق²

¹ جامعة محمد خيضر (الجزائر)، imad.yahia@univ-biskra.dz

² جامعة محمد خيضر (الجزائر)، Abderrazak.bendahmane@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2023/01/28 تاريخ القبول: 2023/09/29 تاريخ النشر: 2023/12/10

ملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى الكشف عن مختلف التحولات التي طرأت على منظومة الإبداع الأدبي في ضوء الانتقال إلى البيئة الرقمية، ورصد البحث ضمن نتائجه أن منظومة الإبداع الأدبي قد أفضت في ضوء هذا الانتقال مجموعة من العلاقات والوظائف مختلفة جذريا عن سابقتها في البيئة الورقية. فالوسيط الجديد (الحاسوب) اتخذ لنفسه موقعا مركزيا بين أطراف هذه المنظومة، والقارئ لم يعد مستهلكا فقط ينتظر المؤلف حتى ينتهي من النص ليقدمه له، والمؤلف لم يعد يملك هذه السلطة ليمارسها على هذا القارئ، والنص أيضا أصبحت له سلطته الخاصة والتي باتت تفرضها مكوناته الجديدة، كل هذه التحولات فتحت المجال لشكل جديد من التلقي الأدبي يتجاوز المفهوم التقليدي الذي يبقي أطراف المنظومة الإبداعية الأدبية أسيرة أسوار اللغة .

كلمات مفتاحية: منظومة الإبداع الأدبي؛ الرقمية؛ النص المتشعب؛ المتلقي؛ المؤلف

Abstract: This research seeks to reveal the various transformations that occurred in the system of literary creativity in the light of the transition to the digital environment, and the research monitors among its results that the system of literary creativity has resulted in the light of this transition a set of relationships and functions radically different from its predecessor in the paper environment.

The new mediator (the computer) has taken a central position for itself between the parties of this system, and the reader is no longer a consumer who merely waits for the author to finish the text in order to present it to him. All these transformations opened the way for a new form of literary reception that goes beyond the traditional concept that keeps the parties to the literary creative system captive to the walls of language

Keywords: Literary Creativity System; digital; hypertext; receiver; Author

المؤلف المرسل: يحي عماد، الإيميل: imad.yahia@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

الحقيقة أن التقدم الإنساني على مر العصور لم يعرف هدنة أو استكانة، فعمليات الانتقال والتحول تارة تتحرك بثبات وبشكل مستمر وتدرجي، وتارة أخرى تتحرك بصورة طفرات وقفزات نوعية غير متصلة، وفي ضوء ما وصلت إليه الإنسانية بفعل التقدم التقني والتكنولوجي خصوصاً ما تعلق منه بالأنظمة المعلوماتية التي تمخضت عن الثورة الرقمية التي أحدثتها اختراع الحاسوب، يمكننا القول أن التغييرات الثقافية التي نتجت عن هذه الثورة في جميع أنشطة الحياة أثمرت معطيات ثقافية جديدة أسهمت بشكل كبير في مجمل التحولات التي مست تقريباً شتى مناحي هذه الحياة، وعلى رأسها إنتاج الأدب وتلقيه، فاستطاع الأدب أن يوجد لنفسه كينونة جديدة ضمن هذا الانتقال والتغير المفاجئ وذلك عندما اعتمد على الرقمنة والتي أثمرت شكلاً جديداً من الأدب تحت مسمى الأدب الرقمي، هذه الكينونة الجديدة وهذا الانتقال والتحول من المرحلة الورقية إلى المرحلة الرقمية رافقته تحولات موازية، سواء على مستوى بنية منظومة الإبداع الأدبي وهيكله أطرافها أو على مستوى وظيفة هذه الأطراف وأدوارها.

فما هو شكل البنية الجديدة لمنظومة الإبداع الأدبي في ضوء تحول الأدب إلى البيئة الرقمية؟ وما هي أبرز التحولات التي أفرزتها هذه البنية الجديدة على مستوى وظيفة أطرافها، وعلاقة هذه الأطراف ببعضها بعض؟

هذه الأسئلة وغيرها هي إشكالية هذه الورقة البحثية، وهو ما سعت إلى الإجابة عنه.

2. الأدب الرقمي: نحو مفهوم جديد للإبداع الأدبي

لعل أهم ما قدمته التكنولوجيا الرقمية في العصر الحديث كان على مستوى الاتصالات والثورة المعلوماتية، ممثلاً في الوسيط الجديد (الحاسوب) وما تعلق به من برامج وإمكانات، وهو ما أثمر تغييراً جذرياً على مستوى "خارطة العلاقات بالأشياء والكائنات، بالزمان والمكان، بالاقتصاد والإنتاج، بالمجتمع والسلطة، بالذاكرة والهوية، بالمعرفة والثقافة..." (حرب، 2000م، صفحة 39)، فاستطاع الأدب أن يوجد لنفسه كينونة جديدة ضمن هذا الانتقال والتغير المفاجئ، وذلك عندما اعتمد على الرقمنة

والتي "تقوم على مفهوم بسيط مفاده إمكانية تحويل جميع أنواع المعلومات إلى مقابل رقمي، فحروف الألف باء التي تصاغ بها الكلمات والنصوص يعبر عنها بأكواد رقمية، فتتناظر هذه الحروف رقما بحروف والأشكال والصور يتم مسحها إلكترونيا لتتحول إلى مجموعة هائلة من النقاط المتراسة المتلاحقة يمكن تمثيل كل نقطة من هذه النقاط رقما سواء بالنسبة إلى موضعها أو لونها أو درجة هذا اللون." (علي، 2001م، صفحة 77)

هذه الكينونة الجديدة التي أوجدها الأدب لنفسه، أثمرت مرحلة أدبية جديدة تسيدها ما اصطلح عليه بالأدب الرقمي، والذي أضحي حقيقة تفرض نفسها على مجتمع المعرفة الأدبية "بسبب الثقافة التكنولوجية التي غيرت إيقاع التعاملات الفردية والجماعية، كما سمحت بفضل وسائطها الإلكترونية والرقمية إلى جعل الكل منفتحا على بعضه، ضمن شروط الثقافة الموحدة رقميا، وساهم ذلك في تحرير الإبداعية الفردية، التي تحت فيض الإمكانيات التقنية والمعلوماتية والمعرفية التي تقدمها هذه الثقافة (...). قد وجدت فضاء خصبا لاستثمار رغبة الذات في التعبير." (كرام، 2009م، صفحة 14)

وفي محاولة لضبط مفهوم الأدب الرقمي ترى الناقدة فاطمة البريكي: "بأنه الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية و الإلكترونية، ولا يمكن أن يتأتى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني أي من الشاشة الزرقاء، ولا يمكن أن يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص" (البريكي، 2006م، صفحة 49)، فالأدب الرقمي من منطلق هذا المفهوم نمط جديد من الكتابة، يفتح المجال أمام المتلقي ويمنحه مساحة من الحرية للتصرف في النص والتحكم في معطياته بشكل يجعله يقترب من وظيفة مؤلف النص بل ربما يتجاوزها بفعل الجمع بين القراءة والتأليف.

ومن خلال هذه المفاهيم أيضا، يتضح أن الأدب الرقمي اتسم بخروجه عن النمط التقليدي المؤلف إنتاجا أو تلقيا، واستحدث لنفسه مقاييس فنية وأخرى تقنية تكنولوجية لم يعهدها المتلقي، وهو ما طرح عديد الإشكالات على مستوى المفاهيم وكذا الآليات والتقنيات التي أتاحتها هذا الوافد الجديد للمؤلف والمتلقي من جهة، ومن جهة أخرى على مستوى الإمكانيات التي أتاحتها للنص يجعله فضاء رحبا يمتد

ويتسع باتساع عوالمه المشتركة: الواقعي و الافتراضي والمتخيل، هذه العوالم التي استطاعت التكنولوجيا عبر استثمار إمكاناتها الخاصة أن تغيرها، من خلال إعادة تشكيل العلاقات والمفاهيم الإنسانية ضمن إطارها الخاص الذي ارتضته لها، ما أدى في المقابل إلى تغيير خارطة الأشياء، وإعادة بلورة مفاهيم الزمن والمكان والذات والموضوع وكذا العلاقات والتاريخ وحصرها في شاشة ألغت كل الفواصل، "فلا وجود لفواصل بين الافتراضي والواقعي، لا لأن الافتراضي في طريقه لأن يحل محل الواقع فقط؛ بل لأنه يعمل على توسيعه وإغنائه ليصل في النهاية إلى تغييره أيضا." (غودار، 2019م، صفحة 32)

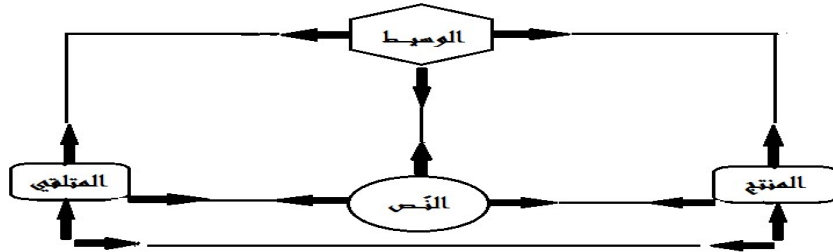
فقد تمكنت التكنولوجيا حتى الآن من وضع آليات قادرة على تحويل المتخيل إلى حقيقة واستطاعت "أن تذيب الفوارق بين الواقع والافتراض تحت ظروف معينة و تنشئ منهما مزيجا أطلق عليه اسم الحقيقة التخيلية أو الواقع الافتراضي وهو نوع من الوقائع أو الحقائق التي يجري صنعها وتكوينها عبر برامج و حسابات متخصصة في ذلك لتظهر وتتجسد بالشكل الذي تجري به على أرض الواقع فعلا." (سناجلة، 2005م، صفحة 13)

3. منظومة الإبداع الأدبي من البنية الثلاثية إلى التركيب الرباعي

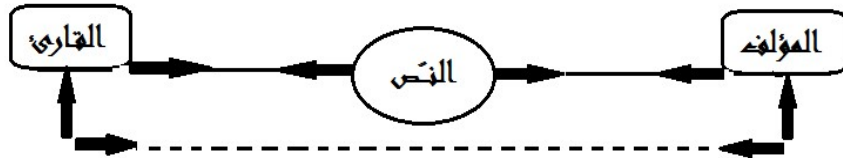
إن التزاوج بين الأدب والتكنولوجيا والذي أثمر ولادة الأدب الرقمي، أثمر أيضا شكلا جديدا ومختلفا من الكتابة والتأليف، كتابة تستثمر كل الإمكانيات التي يتيحها جهاز الحاسوب، وتتيح للمؤلف دمج الوسائط الإلكترونية المتعددة من نصوص وصور وأصوات وحركات وتشكيلات رقمية ضمن أفق جديد واسع ومفتوح يتجاوز الأفق الضيق للكتابة التقليدية المحصورة في الورق، وما جعله أيضا يبدع نصه "وينقله من مرحلة الكمون إلى التجلي النصي والعلاماتي، يضع التصور الذي سيكون عليه من خلال تصميم أجزائه ومكوناته وتنظيم علاقاته (الرقام)، ينقل النص والتصور من خلال برنامج معين يجعله قابلا للرؤية والقراءة على الشاشة (الرقام)...إنه (كاتب وزيادة) وهذه الزيادة هي الجانب التقني." (يقطين، 2008م، صفحة 199)

فإن كانت صورة منظومة الأدب والعملية الأدبية الإبداعية في شكلها التقليدي المتعارف عليه محددة في ثلاثة أطراف هي: المؤلف - النص - القارئ، فإن دخول أطراف هذه العملية وتحويلها نحو الفضاء الرقمي، واستثمارها لكل ما يتيح هذا الفضاء من إمكانيات، انفتحت على طرف رابع اتخذ لنفسه مركزا فاعلا بينها، فأصبحت صورة منظومة الإبداع الأدبي في شكلها الجديد تحدد على النحو الآتي:

المنتج - النص - الوسيط . المتلقي، ولتوضيح أكثر يمكن تمثيل هذا التحول من خلال الشكل (1) والشكل (2) واللذان يحددان أطراف العملية الإبداعية وكذا مختلف التفاعلات التي تحدث بينها في كلا المرحلتين الورقية والرقمية، وقد مثلنا التفاعلات المباشرة بالخط المستمر (—)، في حين مثلنا التفاعلات غير المباشرة بالخط المتقطع (---) كما يلي:



منظومة الإبداع الأدبي في المرحلة الرقمية
شكل (2)



منظومة الإبداع الأدبي في المرحلة الورقية
شكل (1)

من خلال مقارنة بسيطة بين الشكلين (1) و (2)، يتضح أن البنية الجديدة المهيكلة لأطراف العملية الإبداعية ضمن البيئة الرقمية، حافظت على خطية العلاقة التراتبية للعناصر المكونة لها قياساً إلى نظيرتها في البيئة الورقية، غير أنها أضافت وسيطاً مغايراً للوسيط التقليدي المتمثل في الحامل الورقي، والذي استبدلته بالوسيط الجديد ألا وهو إلا الحاسوب بكل أشكاله وبكل ما يملكه ويتيح من إمكانيات . الحاسوب وإن حافظ على موقعه ضمن منظومة عناصر العملية الإبداعية كبديل ومقابل للحامل الورقي في الوقت ذاته، إلا أنه تجاوزه وظيفياً؛ لأنه أسهم بشكل كبير في خلخلة العلاقة بين عناصر هذه

المنظومة وتفاعلها مع بعضها بعض، فقياسا على مقارنة الشكلين السابقين أيضا، يمكن تحديد مجمل التحولات التي حدثت على مستوى العلاقة بين هذه الأطراف وتفاعلها فيما بينها كما يلي:

في المرحلة الورقية يمكن تحديد أربع تفاعلات بين أطراف العملية الإبداعية، وهي تتراوح بين تفاعلات مباشرة وأخرى غير مباشرة كما يلي:

- تفاعل المؤلف مع النص: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل القارئ مع النص: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المؤلف مع القارئ: تقريبا هو تفاعل غير مباشر(— -)، وغالبا لا يتم بين الطرفين وإن تم فإنه لا يحقق الفاعلية بالشكل الذي تتيحه ظروف التلقي في البيئة الرقمية.
- تفاعل النص والمؤلف والقارئ: تقريبا هو تفاعل غير مباشر(— -) وغالبا لا يتم أيضا، وإن تم فإنه لا يحقق الفاعلية بالشكل الذي تتيحه ظروف التلقي في البيئة الرقمية.
- في حين أنه يمكن تحديد سبع تفاعلات بين أطراف العملية الإبداعية في البيئة الرقمية، وهي في غالبيتها تفاعلات مباشرة:

- تفاعل المؤلف مع النص: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المتلقي مع النص: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المؤلف مع المتلقي: تقريبا هو تفاعل مباشر(—)، وغالبا ما يتم بين الطرفين بشكل أكثر فاعلية و سلاسة، خصوصا في ظل ما تتيحه شبكات الربط والاتصال (مثل الانترنت) من إمكانيات.

- تفاعل النص مع الوسيط: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المؤلف مع الوسيط: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المتلقي مع الوسيط: تفاعل مباشر(—)
- تفاعل المؤلف والمتلقي والنص والوسيط: تقريبا هو تفاعل مباشر(—) وغالبا ما يتم أيضا بين الأطراف بشكل أكثر فاعلية وسلاسة، خصوصا في ظل ما تتيحه شبكات الربط والاتصال (مثل الانترنت) من إمكانيات.

من خلال مقارنة بسيطة بين بنية منظومة الإبداع الأدبي في المرحلة الورقية ونظيرتها في المرحلة الرقمية، يتضح دور الوسيط الجديد(الحاسوب) في إعادة بلورة شكل جديد لهذه المنظومة، وكذا إعادة

هيكلية وتوزيع الأدوار بين مختلف أطرافها، حيث يتضح أن الحاسوب اتخذ مكانا مركزيا ضمن فضاء العملية الإبداعية، بوصفه جزء أساسي من متطلبات هذه العملية والوسيط الذي يربط مختلف أطرافها، وفي المقابل أنتج هذا الوسيط أشكالاً جديدة للتفاعل بين أطراف هذه العملية لم تكن متاحة من قبل فاتسعت دائرة التفاعل لتشمل هذا الوسيط الذي يُقدّم من خلاله النص، وأصبح الحديث أيضا عن تفاعلات جديدة مع هذا الوسيط مغايرة لما كانت عليه في المرحلة الورقية وبدأنا نشهد تحولات على مستوى كل أطراف العملية الإبداعية بسبب هذا الوسيط الجديد، بشكل أدخلها في مرحلة رقمية "مؤسسة على تفويض عمليات العقل إلى آلات رقمية، أي تفويض العمل الفكري -وحتى الترفيه الذهني- إلى الحاسوب." (فيال، 2018م، صفحة 75)

4. أطراف منظومة الإبداع الأدبي في ضوء التحول الرقمي:

في ظل الانتقال من البيئة الورقية إلى البيئة الرقمية مع ما رافق هذا الانتقال من تحولات بفعل تغير الوسيط وظهور الحاسوب كفاعل جديد، تغيرت أيضا الأدوار والوظائف على مستوى أطراف العملية الإبداعية خصوصا ما تعلق منها بدور كل من منتج العمل الأدبي وملتقيه، إذ فرض هذا الانتقال عليهما حتمية اكتساب خبرات ومعارف تتجاوز حدود القراءة التقليدية المألوفة، إلى معارف وخبرات تقنية وتكنولوجية جديدة تمكنهما من مسايرة التطور الحاصل على مستوى بناء النصوص وطريقة تشكيلها.

1.4. تغير الوسيط أو الفاعل الجديد:

إن الضرورة التكنولوجية التي اقتضت تغيير حامل النص، اقتضت أيضا أن يتغير الوسيط الذي يربط بين المنتج والمتلقي ليتحول من نص وورق إلى نص وشاشة حاسوب، فقد ظهر " النص الأدبي عبر الوسيط الإلكتروني، بعدما أدى الوسيط الورقي دوره ولا يزال يؤديه في ذروة العصر التكنولوجي، على أتم وجه" (البريكي، 2006م، صفحة 20)، والعملية الإبداعية في البيئة الرقمية في الحقيقة ما هي إلا " مجموع الإبداعات (والأدب من أبرزها) التي تولدت مع توظيف الحاسوب، ولم تكن موجودة قبل ذلك أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الإنتاج والتلقي" (يقطين، 2005م، الصفحات 9-10)، فالحاسوب بهذا المفهوم لم يعد مجرد أداة، بل أضحى من جهة فضاء متعدد العوالم والمواد التي تتضافر فيما بينها لتتيح للمؤلف إنتاج تركيبة أدبية تمتزج فيها الكتابة والصوت والصورة معا ومن جهة أخرى أصبح وسيلة تتيح للمتلقي تلقي هذه التركيبة وربما إعادة إنتاجها من جديد.

من هذا المنظور أيضا أصبح الحاسوب " أداة وشكل ولغة وفضاء وعالم، فهو بمعنى آخر أشمل: منتج وأداة إنتاج وفضاء للإنتاج وعلاقات إنتاجية، وكل هذه الأبعاد والدلالات التي تحملها مادة (ن. ت. ج) تتحقق في الإبداع التفاعلي من خلال النص المترابط باعتباره هو أيضا وفي آن واحد: أداة للإنتاج (برنامج)، وإنتاجا يتحقق من خلال النص (أيا كانت علامته: اللغة الصورة، الصوت الحركة) سواء جاءت هذه العلامات متصلة أو منفصلة، في هذا 'الإبداع' التفاعلي يتحقق التفاعل في أقصى درجاته ومستوياته: بين المستعمل للحاسوب والحاسوب من جهة (لأن بينهما علاقة)، وبين العلامات بعضها ببعض (لكونها مترابطة) من جهة ثانية، وبين المرسل والمتلقي حيث يغدو المتلقي للنص المترابط بدوره منتجا بالمعنى التام للكلمة من جهة ثالثة." (يقطين، 2005م، صفحة 10)

ففي النص الورقي يكاد يكون التفاعل مع الوسيط (الكتاب) معدوما، فهو لا يتطلب أكثر من تصفح أو قلب الصفحات بالأصابع، وعلى مستوى تفاعل القارئ مع هذا النص فهو مقتصر على التفاعل المعنوي أو الوجداني من خلال الدلالات التي يمكن أن يمنحها هذا القارئ للنص، أو من خلال تأويله للمعنى من منطلق تجاربه وخبرته القرائية، فإن كان الكتاب لا يتيح " للقارئ الفرصة لتصفحه بطريقة ذكية دون الحاجة لأن يقرأه بالفعل، حيث يمكن للفرد الاطلاع على النص بأكمله من خلال تقليب صفحاته (ماديا)، فإن الشاشة الإلكترونية من ناحية أخرى تفرض اعتبارات أخرى نتيجة لتفردا وقدرتها على عرض الآثار الواضحة للعناصر النصية المختلفة بصورة سريعة." (كريستان، 2005م، صفحة 393)

فعلى مستوى علاقة هذا النص الرقمي بالوسيط الجديد (الحاسوب) ، فقد اتسعت لتصبح أكثر ديناميكية وفي نفس الوقت أكثر تعقيدا؛ فقد أسهمت التكنولوجيا في انحسار موهبة الكاتب أمام ذكاء هذا الوسيط الجديد؛ ذلك أن النص الرقمي التفاعلي لم يعد أسير الكتابة الخطية بل تجاوزها ليصبح مجالا أوسع وأكثر رحابة، تتلاقى فيه الكلمة مع الأشكال والأصوات والصور والفيديوهات، هذا فضلا عن العمليات الحسابية والمنطقية ومختلف الإمكانات الأخرى، الأمر الذي كرس ظهور برامج حاسوبية للكتابة والتأليف، تعتمد كليًا على الحاسوب لتأليف وكتابة النصوص الأدبية (مقالات، شعر، نصوص...).

أما على مستوى علاقة الوسيط الجديد (الحاسوب) بطرفي العملية الإبداعية الآخرين (المنتج والمتلقي)، أصبح الأمر يتطلب منهما مهارات أخرى تتجاوز مجرد الخبرات اللغوية للتعامل، فصار لزاما عليهما اكتساب خبرات أخرى تتجاوز حدود القراءة والكتابة، فقد أتاح هذا الحاسوب للمؤلف والمتلقي على حد سواء طرقا تمكنهما إمكانية التعامل مع النص الرقمي تقنيا ومن خلال برمجيات خاصة، وهو ما

انعكس على تلقي هذا النص من زوايا مختلفة، وكذا إدراكه بإمكانات أوسع وأدق مما كانت عليه في المرحلة الورقية، ومعنى آخر فإن الوسيط الجديد أصبح يفرض شروطا جديدة للتعامل معه وهو ما يستدعي "ثقافة (معرفة) جديدة بقصد التعامل معه ومع الإمكانيات التي يقدمها، الشيء الذي يبين أننا أمام كاتب وقارئ على مستوى واحد يسمح لهما بالتواصل مع مجموعة من الأيقونات والوظائف بجزيرة مشتركة" (يقطين، 2005م، صفحة 124)، أي أنهما صارا يمتلكان قدرة واحدة تتيح لهما إنتاج النص الرقمي وتلقيه على قدر واحد من المساواة، ما يجعلهما متلقيان ومنتجان بنفس المستوى وبنفس الكفاءة.

2.4. النص الأدبي من الخطية إلى الارتباط والتشعبية:

إن التحول نحو الوسيط الجديد بما يتيح من إمكانيات، مهد لظهور مصطلح الهايبرتكست hypertexte، في إشارة إلى ذلك النص الرقمي المتطور الذي "نشأ بالتوافق مع الإنجازات المتتالية والمستمرة في تقنيات الحاسوب وبرمجياته وشبكات اتصالاته، إلا أنه يشير أيضا إلى التقاء هذا التطور التقني الرقمي مع التقدم المعرفي الحاصل في دراسة بنية النص ومفاهيمه وطرق تلقيه من خلال المنهجيات الحديثة في البحث وعلى رأسها البنيوية والألسنية والسيميولوجي" (عرفة، 2007م، صفحة 338)، وفتح المجال أيضا لظهور مصطلح جديد هو الهايبرميديا hypermedia (الخطيب، 1996م، صفحة 83) والذي يعرّفه حسام الخطيب بأنه النص المرفل، للدلالة على غناه بعناصره السمعية-البصرية، ولما يتضمن النص عندئذ من حركة وزينة فضفاضة.

ويمكن اعتبار النص المترابط كمفهوم وآفاق، مظهرا من مظاهر التحول من الورقية إلى الرقمية، وهو حلقة وسطى وهامة ضمن سلسلة التحولات التي طرأت على العملية الإبداعية الأدبية بفعل الانتقال إلى الوسيط الجديد (الحاسوب)، فهذا النص يتحدد بمجموعة من النصوص والبنى المعلوماتية المتداخلة "المسجلة رقميا بتقنيات الحوسبة، والتي تستخدم لعرضها على شاشة الحاسوب تمثيلات بعلامات مختلفة، وتنوعاتها السمعية-البصرية ومصطلحات تشكل مفاتيح أو وصلات لموضوعات متناثرة فيها، تحيل إلى مسارات شبكية مترابطة وغير تعاقبية متعددة ينشطها القارئ (أو المتلقي) حاسوبيا حسب المواضيع التي يعمل عليها وحسب احتياجاته المعلوماتية فيها." (عرفة، 2007م، الصفحات 338-339)

والملاحظ أن الشكل التقليدي للنص الأدبي والذي يتراوح بين الخطية والورقية، ظل شاملا لكل الخصائص والمفاهيم الجزئية التي منحته سمة أسلوبية خاصة، من منطلق أن مؤلفه يكتبه وفق ترتيب ونظام معين محدد إياه ببداية ووسط ونهاية، وبشكل "لا يمكن للقارئ تعديل هذا الترتيب، فعليه أن يبدأ النص

من بدايته وينتهي في النهاية المرسومة له، ويرتبط هذا النص المطبوع بالنصوص الأخرى من خلال الهوامش السفلية أو الفهارس التي تحيله إلى نص آخر يقرؤه بالطريقة نفسها، فالنص المطبوع إذن تتم كتابته وقرآته على السواء بطريقة متتابعة وخطية " (جريس، 2002م، صفحة 147)، لكن مع انتقال هذا النص إلى البيئة الرقمية اكتسب سمات أسلوبية جديدة، ربما تتقاطع مع سمات النص التقليدي لكنها في المقابل تمنح الخصوصية أيضاً لهذا النص الجديد، نتيجة لما يكتسبه من إمكانيات ربط هائلة " تتناهي مع الكتابة الخطية والتفكير التتابعي حيث يبدأ المرء من البداية إلى النهاية، فالنص المتعلق يمنح القدرة على القفز فوق النص وخارجه وحوله، والترحال بين أفكار وقضايا لها ارتباطها (بموضوع ما)، ومع أن مثل هذا الترحال ممكن على الورق (كما في حالة الإحالة والهوامش أو الإرشاد إلى كتاب آخر)، إلا أن سهولتها في برامج الحاسب الآلي للنص المتعلق لا تضاهي. " (الرويلي، 2002م، صفحة 270)

فإمكانيات الربط هذه بوصفها عنصراً أساسياً لإنجاز النص، تجعل هذا الأخير خاضعاً لوضع يتحول فيه من النسق اللغوي إلى نسق سمبويقي تتضافر فيه العلامات الغوية وغير لغوية متعددة تمكن المتلقي من إنتاج المعنى وبناء الدلالة، ومن هنا أصبحت هذه الوسائط المتعددة بالإضافة إلى الوسيط اللغوي هي ما يميز النص الأدبي في البيئة الرقمية.

3.4. المؤلف من المفرد إلى المتعدد:

أحدثت الثورة الرقمية تغييراً جذرياً في مفهوم إنتاج النصوص وتلقيها؛ فلم يعد المؤلف مجبراً على المرور من مصافي دور النشر كما كان الأمر سابقاً، لأن المواقع الإلكترونية المختلفة تتيح إمكانية هائلة لكل فرد لكي ينشر ما يشاء، وقد نجم عن ذلك أن أصبحت أسماء الكتاب الذين حققوا نجاحاً باهراً في مجال النشر الورقي تتجاوز مع أسماء كتاب مبتدئين ومغمورين، كما أن التحول الجذري الذي طرأ على مفهوم النص، والذي لم يعد المكون اللغوي يشكل سوى جزء من نظامه البنائي والتعبيري إلى جانب عناصر أخرى مثل الصوت والصورة، أفضى إلى تأسيس قواعد جديدة في إنتاج النصوص وتلقيها، فلم تعد المهبة الأدبية وحدها تكفي لإنتاج نص رقمي، بل أصبح إنتاجه يحتاج إلى مهارات أخرى تتجاوز حدود المهبة الأدبية حتى وإن كانت هذه المهبة مطلوبة وأساسية.

وبهذا الصدد يرى الناقد المغربي مُجَّد أسليم أنه: "على الكاتب الرقمي أن يجيد لغة أخرى غير لغة القلم التي عهدنا، هي لغة الحاسوب وبرمجياته المختلفة، وأن يتقن استخدام الوسائط المتعددة ويحسن توظيفها فيما يخدم العملية الإبداعية، وهذا يتطلب ثقافة واسعة، تجعل النص الأدبي الرقمي الذي يضاهي النص الغربي بعيد المنال في الوقت الراهن في عالمنا العربي... إضافة إلى ذلك فكثيرا ما يضطر الكاتب الرقمي إلى الاستعانة بأشخاص آخرين من مجالات معرفة مختلفة لمساعدته في إنتاج النص، كأن يستعين بخبراء من مجال الكمبيوتر وخبراء من مجال الفن وآخرين من مجال الموسيقى أو الإخراج السينمائي وغير ذلك ما يجعل عملية الكتابة عملية مركبة تتضافر فيها قوى بشرية متعددة المجالات والثقافات." (أسليم، مُجَّد أسليم، 2012)

في حين ترى لبيبة خمّار وهي باحثة تجمع بين التأليف والإخراج الرقمي، أن عملية تأليف النص الرقمي تتطلب من المبدع عملية أخرى وهي عملية الإخراج التقني، والتي بدورها تتطلب استخدام برمجيات حاسوبية معينة لإخراج النص في حلته الرقمية وتجسيده على شاشة الحاسوب وتقدم الباحثة مجموعة من الخطوات التي ينبغي على المبدع أن يتبعها لإخراج نصه، ما يظهر التحول الذي حدث في وظيفة المبدع بفعل الانتقال إلى المرحلة الرقمية، وهذه الخطوات حددها إدوارد دوكان Edward de cake باختصار في: (خمّار، 2014م، الصفحات 202-203)

- معالجة عناصر النص بمساعدة الآلة الرقمية وهي مرحلة القولية أو التشكيل.
- دراسة مختلف التظاهرات البصرية التي يمكن للنص أن يتخذها.
- تحديد كل ما يتعلق بحجم وشكل الكلمات والحروف، ثم تحديد نوعية الخلفية التي تظهر فيها.
- ابتداء وخلق الفقرات التي ستمتاز بالحركية والحيوية.
- تحديد الملفات التي ستنتقل نحو البرامج المتحركة.
- حفظ هذه البيانات ومن ثم التركيب النهائي للنص الرقمي.

فالنص الرقمي من هذا المنطلق فرض على المؤلف شروطا جديدة لكي يتمكن من إنتاجه فصار مطلوبا منه أن يكون عالما " بثقافة المعلومات، ولغة البرامج المعلوماتية والتقنية الرقمية، بل يتقن تطبيقها في

علاقتها بفن الكتابة، أو يستعين بتقنيينومبرمجين في المعلومات، هذا يعني أننا بصدد كاتب له معرفة بالعلم ، وهذا شيء جديد في نظرية الأدب التي لم تكن تنظر إلى المبدع في إطار تكوينه العلمي بقدر ما كانت تقف عند نضج متخيله وإبداعية نصه." (كرام، 2009م، صفحة 34)

إن الحديث عن المواصفات والشروط الجديدة للتلقي في ضوء التحولات التي طرأت على العملية الإبداعية في ضوء تجاوزها المرحلة الورقية وانتقالها إلى المرحلة الرقمية، يرتبط أساسا بالشروط والخصائص الجديدة التي اكتسبها المبدع أو أصبح ملزما باكتسابها أيضا، وهو ما جعلنا أيضا أمام فاعل جديد يشارك المبدع في عملية إنتاج النص، وهو " المبرمج أو الخبير في المعلومات، لأنه ليست لكل المبدعين الخبرة نفسها في هذا المجال، لذلك جرت العادة أن يقدم المؤلف نصه للمبرمج ليجعله قابلا للتلقي الرقمي." (يقطين، 2008م، صفحة 198)

4.4 . القارئ من الفاعلية إلى التفاعلية:

فرضت البيئة الرقمية والوسيط التكنولوجي (الحاسوب) بتعدد إمكاناته، العديد من السبل لصياغة الأفكار، ما أوجد مؤلفا مختلفا استطاع إبداع نصوص تتماشى ووضعيته الجديدة نصوص تجمع بين الكلمة وعناصر أخرى لم تكن لتتمظهر بهذه الفاعلية لولا هذا الوسيط، وهذا ما أوجد في المقابل متلقيا مختلفا قادرا على المشاركة في الإبداع، واستطاع بدوره من خلال استثمار هذا المعطى الجديد أن يتجاوز التلقي في شكله التقليدي المحصور في فعل القراءة والبحث عن المعنى، إلى التلقي في شكله الجديد أيضا والذي يجمع فيه التلقي بين فعلي القراءة والكتابة معا.

بل حتى فعل القراءة في شكله التقليدي المرتبط بالبيئة الورقية ظهر في شكل وحلة جديدة فتحول النص من الورقية إلى الرقمية جعلته يكتسب مجموعة من الخصائص، وهو ما أتاح للمتلقي تكوين مساره الخاص في عملية القراءة بطريقة غير خطية؛ حيث أصبح بإمكانه أن ينتقل هرميا أو بشكل متفرع إلى نصوص أخرى، من خلال استغلال هذا النص الجديد لكل الإمكانيات والبرامج التي يوفرها الحاسوب وشبكة الإنترنت، وهي إمكانيات تخضع للتجدد والتطور باستمرار، هذا التنوع في الإمكانيات لا يوازيه إلا التعدد والتنوع في عرض وجهات النظر التي يمكن أن يقدمها المتلقي أو مجموع المتلقين حول معنى النص وكذا انفتاح الدلالة ولا نهائية القراءات التي يمكن أن تقدم له أيضا من طرف هؤلاء.

من هنا فإن صور التفاعل في الأدب الرقمي تتعدد " بسبب تعدد الصور التي يقدم بها النص الأدبي نفسه إلى المتلقي/ المستخدم" (البريكي، 2006م، صفحة 53)، وتحديد النص الذي يعتمد على تقنية التشعب ففي تحليه عن الخطية يبدأ في كثير من الأحيان من نقاط ومداخل متعددة ، ويخلق مسارات متعددة أيضا، بل قد يكون مفتوحا بلا نهاية، وهذا ما يمنح المتلقي " فرصة الانتقال في فضاء النص بطريقة حرة لا تراعي تسلسل أجزائه ومقاطععه، الشيء الذي يجعل النص أمام احتمالات الانغمار المتعدد أو القراءات المتعددة: أي أن يخلق له مساراته الخاصة، ومن ثمة نصه الخاص" (يقطين، 2008م، صفحة 34)، ومن هذا المنظور أيضا فإنه كلما زادت الروابط والتشعبات كلما زاد عدد الاحتمالات لتوليد نصوص جديدة ، وهو ما يؤدي إلى تشتيت المتلقي، بشكل يصعب عليه إعادة قراءة النص حتى وإن اختار أن يبدأ من نقطة معينة ويتبع مسارا معيناً للقراءة، هذا على مستوى متلق واحد فما بالك في اشتراك مجموعة من القراء في اختيار مسارات القراءة.

من جهة أخرى فإن جعل البدايات غير محددة في بعض النصوص الرقمية، وهو أمر خاضع عن قصد أو غير قصد لمخطط المبدع الذي ينشئ النص على أساس متشعب لا تكون له بداية واحدة، يجعل هذا التشعب ينتج اختلافا في اختيار البدايات من متلق لآخر، وينتج أيضا في المقابل اختلافا في سيورة أحداث النص (خصوصا النصوص السردية)، من متلق لآخر أيضا، وبالتالي فقد يؤدي كذلك إلى اختلاف في النهايات أو النتائج من متلق إلى آخر، كما أن الأدب الرقمي - خصوصا التفاعلي منه- لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، بل على العكس من ذلك فهو يتيح لأي مبدع أن ينشئ نصا ويرفعه إلى أحد المواقع على الإنترنت ما يجعل النص في يد جميع المتلقين، ويعطيهم فرصة المشاركة في تأليفه و إنتاجه، وهذا ما يعيد تأسيس مفهوم المتلقي خصوصا فيما يتعلق بوظيفته من جهة وعلاقته بالمبدع من جهة أخرى، فالبيئة الرقمية تتيح للمتلقين فرصة الحوار الحي و المباشر من خلال المواقع ذاتها التي تقدم النص التفاعلي (على اختلاف أجناسه)؛ إذ بإمكان هؤلاء المتلقين أن يباشروا نقاشا حول النص، وحول التطورات التي حدثت في تلقيهم له.

وضمن علاقة المتلقي بالوسيط الجديد، فإن توظيف الحاسوب واستغلال الفضاء الشبكي في عملية إبداع النصوص، جعلت المتلقي يمارس بعض الوظائف والاختصاصات التي كانت في السابق حكرا على المؤلف دوناً عن غيره، وفي المقابل أصبح هذا الأمر يتطلب من المتلقي مهارات قرائية خاصة تمكنه من

التعامل مع الروابط التشعبية من خلال تنشيطها ضمن ما يمكن أن يصطلح عليه بعملية القراءة الرقمية هذه التحول الذي طرأ على المتلقي سواء ما تعلق بوظيفته أو حتى ما تعلق بمركزته ضمن منظومة أقطاب العملية الإبداعية وعلاقته بمختلف هذه الأقطاب، يحيلنا إلى مصطلح التفاعلية (interactivité) بوصفه أكثر المصطلحات شيوعاً وارتباطاً بالأدب الرقمي، وأكثر خواص هذا الأدب ارتباطاً بمنتجه أو متلقيه على السواء، إذ لا يمكن الحديث عن التفاعلية دون حضور هذين الفاعلين.

من جهة أخرى فإن نظرة فاحصة لمختلف الوسائط الثقافية يتضح أن الإنترنت هو أكثر هذه الوسائط خدمة للمتلقي وتأثيراً فيه في الوقت ذاته مقارنة ببقية الوسائط المتاحة وأكثرها تحقيقاً للتفاعل من غيره، فهو " أكثر من التلفزيون ومن الهاتف، فهو يتيح لنا تفاعلاً آنياً ولعباً لحظياً واختياراً للصور التي نراها، وللمعلومات التي نرغب في الحصول عليها، بل وتغييرها وتعديلها وإعادة إرسالها، فالتفاعل في العالم الافتراضي واقعي ويحصل في الزمن الواقعي أي في تمام الحضور." (معزوز، 2014م، صفحة 277)، وعلى هذا الأساس أيضاً يتضح جلياً دور النص الرقمي في تنشيط الفعل القرائي لدى المتلقي فهو "يقدم للقارئ فضاءات تمكنه من المشاركة في بناء المعنى النصي، والقارئ هو الآخر مزود بكفاءته ومرجعياته الخاصة ويكون هذا بفعل القراءة التي هي في جوهرها تفاعل ديناميكي بين طرفي العملية الإبداعية، وبها يتم إخراج النص من حيزه الجرد إلى حيزه الملموس (العمل الأدبي)" (قاسم، 2017، صفحة 222) فالقراءة بوصفها المفهوم الذي يجسد هذا التفاعل، لم تعد تسير في اتجاه واحد كما هو متعارف عليه في التيارات النقدية السابقة لنظرية التلقي، كما أنها لم تعد أيضاً تسير في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، وإنما تجاوزت كل هذا لتصبح فعلاً حيويًا يربط كل عناصر المنظومة الإبداعية في شكلها الجديد (منتج - نص - وسيط - متلقي).

5. خاتمة:

تمحورت حيثيات هذه الورقة البحثية حول شكل البنية الجديدة لمنظومة الإبداع الأدبي في ضوء انتقال الأدب من البيئة الورقية إلى البيئة الرقمية وما صاحب هذا الانتقال من تغيرات على مستوى أطراف هذه المنظومة، وخُصّ البحث إلى جملة من النتائج نذكر منها:

- أن الكينونة الجديدة التي أوجدها الأدب لنفسه في البيئة الرقمية، أثمرت مرحلة أدبية جديدة تسيدتها ما اصطُح عليه بالأدب الرقمي، والذي اتسم بخروجه عن النمط التقليدي المؤلف إنتاجاً أو تلقياً.
- من خلال عقد مقارنة بين بنية منظومة الإبداع الأدبي في الرحلة الورقية ونظيرتها في المرحلة الرقمية يتضح دور الوسيط الجديد (الحاسوب) في إعادة بلورة شكل جديد لهذه المنظومة، وكذا إعادة هيكلة وتوزيع الأدوار بين مختلف أطرافها.
- إن انتقال الأدب من البيئة الورقية إلى البيئة الرقمية، فرض على طرفي منظومة الإبداع الأدبي (المؤلف والمتلقي) حتمية اكتساب خبرات ومعارف جديدة، تتجاوز حدود القراءة التقليدية المؤلف إلى معارف وخبرات تقنية وتكنولوجية تمكنهما من مساندة التطور الحاصل على مستوى بناء النصوص وطريقة تشكيلها، سواء من جهة التأليف والإبداع أو من جهة القراءة والتلقي.
- وفي الأخير يمكن القول أن انتقال الأدب إلى الفضاء الرقمي حتمية تفرضها متطلبات هذا العصر، وهو انتقال يتم بوتيرة متسارعة تفرض على النقد العربي مساندة نظيره وتطبيقاً لفهم طبيعته وظروفه، ومن ثم وضع أسس وقواعد من شأنها أن تسهم في بلورة أدب رقمي ذو صبغة عربية خالصة.

6. قائمة المراجع

المؤلفات:

- البازغي سعد والرويلي ميجان، (2002م)، دليل الناقد الأدبي، إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، المركز الثقافي العربي: بيروت.
- البريكي فاطمة، (2006م)، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- الخطيب حسام، (1996م)، الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرع hypertext. دمشق: المكتب العربي لتنسيق الترجمة والنشر .
- جودت أحمد سعادة، (2003م)، استخدام الحاسوب والأنترنت في ميادين التربية والتعليم. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- حرب علي، (2000م)، حديث النهايات: فتوحات العولمة ومآزق الهوية، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- خمار لبيبة، (2014م)، شعرية النص التفاعلي، آليات السرد وسحر القراءة، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.

- سناجلة مُجّد، (2005م)، رواية الواقعية الرقمية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عرفة مازن، (2007م)، سحر الكتابة وفتنة الصورة: من الثقافة النصية إلى سلطة اللامرئي، دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر.
- علي نبيل، (2001م)، الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية المستقبل الخطاب الثقافي العربي، الكويت: وزارة الإعلام والثقافة.
- غودار إلزا، (2019م)، أنا أوسلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، بيروت: المركز الثقافي للكتاب.
- فيال ستيفان، (2018م)، الكينونة والشاشة: كيف يغير الرقمي الإدراك، المنامة: هيئة البحرين للثقافة والآثار.
- كرام زهور، (2009م)، الأدب الرقمي: أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية (دراسة)، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع.
- كريستان آن ماري، (2005م)، تاريخ الكتابة: من التعبير التصوري إلى الوسائط الإعلامية المتعددة مصر: مكتبة الإسكندرية.
- معزوز عبد العلي، (2014م)، فلسفة الصورة: الصورة بين الفن والتواصل، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.
- يقطين سعيد، (2005م)، من النص إلى النص المترابط، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- يقطين سعيد، (2008م)، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، نحو كتابة عربية رقمية، بيروت: المركز الثقافي العربي.

المقالات:

- جريس حنا، (2002م)، الهايبرتكست عصر الكلمة الإلكترونية، مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، عدد 527
- مسعود القاسم، (2017م)، استراتيجيات القراءة وبناء المعنى في ديوان أنطق عن الهوى لـ"عبد الله حمادي"، مجلة قراءات، جامعة بسكرة، الجزائر، المجلد 10، العدد 1

مواقع الأنترنت:

أسليم مُجّد، مفهوم الكاتب الرقمي ، مقال على الموقع : www.m-aslim.net